يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ٢٨ فبراير (شباط) سنة ٩٠٢)

مسألة النساء

(مضار تربية النساء الاستقلالية في الافرنج)

(تمهيد) للامم طريقان تسير عليهما في حياتها الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين. ولا يعرف التاريخ أمة من الامم ارتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد مرقوا من الدين النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتقادية والادبية والعملية في طريق مدنيتهم مقررين أنه لا يعتمد في شؤون الحياة الا على النظر والتجربة معاً دون ماعداهما فاشتهر في العالم أن الافرنج مرقوا من الدين في الواقع وانما ينصرونه ويتعصبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا الى قمة حضارتهم هذه الا بهذا المروق والاستدبار . وهذه شبهة أو حجة على بطلان النصرانية اذا كان الدين كما يقول المسلمون سائقاً الى صلاح

الدارين، وسعادة الحياتين ، ولكننا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاصّ بطالب الدار الآخرة ومراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها.

وقد خدع بمثل هذه الاقوال والأحوال بعض المسلمين الجغرافيين الذين لايعرفون من الاسلام الا بعض مايرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لايرتقون الا بمثل مارتقى به الافرنج من استدبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم . يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفي تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفي آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الأفرنج باستدبار الدين ناجحون ، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون ، ولو أبصروا ورأوا ان هذا الخسار ، انما تولد من المروق والاستدبار . وان قياسهم انما هو قياس الضد على الضد ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ،

لقد سبح القلم الى ماليس من موضوعنا في هذا التمهيد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الاحياء في هذه الارض لم يستغن ولن يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولدين وثي خير له من ترك التدين بالمرة . وأن كل أصول الارتقاء التي بني عليها عمل مستدبري النصرانية في أوربا مستفادة من الدين إما من بقايا دينهم تقليداً وإما مما وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الافرنجية بالتربية والتعليم ان يتروّوا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجعلوها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة الملية التي كانوا بها أمة لئلا تكون التربية مفرقة لاجتماعهم ممزقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حتفه بظلفه . وأنه

يجب اقامة ماقرره الدين على سبيل القطع والتروي والاجتهادُ فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجه . وان أكبر العبر ماوقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هداية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفعاً عظيماً في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لابدّ ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الاشارة اليه آنفا

مسألة النساء : وبعد هذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلَّمْنَ وكيف يربين ليكنّ عوناً للرجال على الارتقاء ومجاراة الامم الحية .

ان طلاب تغيير سير الامة بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوربا وارتقاءها فمنهم من يطلب محاكاتها أو مجاراتها وهم الحكام وبعض العقلاء ومنهم من يستحب تقليدها تظرّفاً أو تزلّفاً وهم الذين أخذوا قشوراً من العلوم العصرية في مدارس أوربا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدنية الأوربية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبلة الأولى للاستانة ومصر في طلب هذا التحوّل لأنها أم هذه المدنية الجديدة في الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكلترا بحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيس ولذلك نورد لهم ماستفدناه بالمذاكرة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء ليعلموا ان التروي الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لابد منه . ثم ننتقل الى الحكم بضرورة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية

القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تغن عن الهداية التي جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ منذ ثلاثة عشر قرنا ونيفا

الغرض من التربية والتعليم سعادة الامة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وانما يطلب الهناء والشرف للحيّ النامي فاذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي الى قلة النسل وعدم نموّه فتلك هي الطريقة السوءى وسلوكها هو الجناية الكبرى على البشر . وتربية الاناث تربية استقلالية كما يتربى الذكور سواء مخلٌّ بوظيفة النساء الفطرية ومؤدٍّ الى تلك النتيجة المخيفة — قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

انتجت هذه التربية في انكلترا النتائج الاتية (١) اعتماد النساء على انفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجههن الى الاعمال الخارجية أي التي تكون خارج البيوت وتنافي تدبير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرة وقال بعض أطباء الانكليز إنه عرف بالاختبار أن نحو اربعين في المئة من النساء كذلك . وقال بعض أطباء فرنسا إن إناث البشر كإناث سائر الحيوانات الاصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال الا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وان ماعدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الافراد مرضا من نوع (الهستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله .

(٤) أن أكثر النساء المتعلمات المتربيات يكرهن الأمومة إما لما في الحبل والولادة من المشقة والتعب وإما لاضطرارهن الى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة اذا هن أرضعن أولادهن والبيوت صارت في نظرهن كالسجون لتعودهن على كثرة الخروج . وإما لاحتياجهن في ذلك الى

نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضلن التوسع بها في الترف . ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي فى جعل الانسان ملكوتيا فيقلن ان الحبل والولادة من صفات الحيوانات فينبغي الترفع عنه . وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرقى من سائر الانواع في جنسه . وليس في استطاعة الخيال أن يخرجه عن كونه حيوانا وان استند الى الفلسفة اوالدين

(٥) انه قد فشا في النساء تناول الادوية لمنع العلوق وللاسقاط بعد تحققه

(٦) ان البنت قلما تتزوج في أول طور الاستعداد للأمومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الاعضاء في طور الخداثة تكون مرنة تتمدد بسهولة فاذا كبر السن قلت هذه المرونة المسهلة للولادة . ويزيد العسر عسراً ضعف الاجسام بالإفراط في الترف والنعيم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكلوفورم وبمساعدة الاطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهي بسلامة من مرض خطر فهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر ونضيف اليها نتيجتين عامتين فى النصارى وهما

(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصارى بان تدفع لمن ترغب فى التزوج به مهراً وكثيراً ما يعسر عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البغاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة فى الفضائل الدينية عند اكثر النصارى . فهذه تسع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم . وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية . ولما كانت فرنسا هي السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره . وستتبعها انكلترا في ذلك

بعد سنين ، وإن خفي ذلك على المعجبين بتربيتها من الشرقيين

وإذا التفتنا الى جانب الرجال نراهم في انكلترا يأخذون بأخذ الذين سبقوهم بهذه المدنية الفاسقة في فرنسا فاكثر الشبان يرغبون عن الزواج بالمسافحة والمخادنة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الاربعين سنة أو يجاوزها ثم هو لا يود أن يكون له ولد كثير وإنما يبتغي ولداً يرث ماله ويحفظ اسم بيته ان كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثان يخلف الاول اذا هو درج فإن عُزّز بثالث احتمله وكره كرها شديدا ان يزيد ولده عن عدد « الاقانيم الثلاثة » ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا كانت ودوداً ولوداً

ولا تحسبن هذا العياح والعويل من ساسة فرنسا وبعض كتابها في الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الاكثرون يرون ذلك شرطا في سعادة الامم كما يرونه شرطا في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاعف سكانها في مدة قريبة لا تلبث أن تضيق بها بلادها وتضطر الى المهاجرة الى بلاد دونها لتعمرها وتغالب اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار الخربة بالدار العامرة . ويقولون إن الدولة لا تشكو من قلة النسل حباً في الامة ولكن طمعا في مباراة الدول المستعمرة فالسبب في ذلك طمع الملك الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وانما يبذلون ايضا أموالها ودماءها . لهذا يعسر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي القاتل مادامت على هذه الطريقة في التربية والتعليم وفساد العقيدة وحرية الفسق والفجور

بقي علينا ان نلتفت لفتة ثالثة الى البيوت لننظر كيف يعيش الزوجان

اللذان نظرناهما منفردين اووصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم المفتونون بمدنية أوربا ان السعادة المنزلية ، ونعيم المعيشة لزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم العالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البليغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه وصف منتزع من البيوت الاوربية فمنهم من يتمنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكتاب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وانه لاسبيل اليها فما لنا الا أن نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذي لامرية فيه ان هناء المعيشة الزوجية لايتحقق الا بتحقق أمور (احدها) اذعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة ومرؤسة له . ولا تذعن في نفسها هذا الإذعان الا اذا تربت عليه واعتقدته دينا (ثانيها) ثقة الزوجين بالاختصاص بأن يعتقد الرجل انه لايشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لايختلف الى غيرها من خدن أو بغيّ . وهذان الأمران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب . ولا استثني من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد المشرق وأكثرها فساداً في البيوت (العائلات) . (ثالثها) المشاكلة في الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الامر ظاهر في الغربيين وهو في الشرقيين كذلك في الغالب . ومن غير الغالب بعض المتعلمين من المصريين فانهم لايجدون في النساء من يقاربهم في أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان لرغبتهم تأثيراً كبيراً في

الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسعيها . والعمل على هذا وان أنكره بالقول الاكثرون

ثم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال في الافكار والاخلاق والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها تعليم البنات حتى لا تتسع مسافة الخلف بين الصنفين ولمافي التربية والتعليم من الفوائد الكثيرة ولكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاوربيين قدما بقدم وأن لا نحتذي شاكلتهم حذو القذة للقذة بل علينا ان نتوقى من أول السير كل ما رأيناه سيئ العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها تربية الانثى تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما يتعلمه الذكور فهذان الامران ينافيان إذعانها لسيادة الرجل باطنا وظاهراً ويفضان اليها ملازمة البيوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسبب مقتض كما أنهما يعرضانها لتدنيس عرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو عند الرجال ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول في التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادي العلوم المدوسية كلها وأما ما وراء هذا فيجب ان لا يتوسعن الا فيما يلزم للبيوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والخياطة

فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروي في تربية البنات وتعليمهن وان لا نقلد فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم والتجربة في أوربا عدة قرون ان كل ما خالفوا فيه الاسلام كان ضاراً فقد رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يعدونه من اضر الامور في الاجتماع البشري

فصاروا يعدونه مثلنا من ضروراته . وتبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضا ووجد من نسائهم داعيات اليه لاسيما في بلاد الانكليز حيث يزيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرائد انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) ولنا ان نعتبر أن تأييد سير العمران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لا وضعاً من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون . وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

باب رد الشبهات عن الاسلام

(احياء الاسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقتطف الاغر قرظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريظه التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب مورداً انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب ، وها نحن أولاء نوافيه بما يحب بعد ايراد السؤال أو الانتقاد . قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الي من نسب اليه : « وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب . قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه :

« ينبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الارض بعد